

الأمثل في تفسير كتاب القرآن المنزل

[491] (نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ). ثُمَّ فِي آيَةِ الْآخِرَةِ يَبَيِّنُ الْأَزْوَاجَ الْأَرْبَعَةَ الْأُخْرَى مِنَ الْأَنْعَامِ الَّتِي خَلَقَهَا لِلْبَشَرِ، إِذ يَقُولُ: وَخَلَقَ مِنَ الْإِبِلِ ذَكَرًا وَأُنْثَى، وَمِنَ الْبَقَرِ ذَكَرًا وَأُنْثَى، فَأَيُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَزْوَاجِ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ: الذَّكَورَ مِنْهَا أَمْ الْإِناثَ؟ أَمْ مَا فِي بَطْنِ الْإِناثِ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ: (وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمْ الْإِناثَيْنِ، أَمْ أَشْتَمَلْتُ عَلَيْهِ أَرْحَامَ الْأُنْثَيَيْنِ)؟! وَحَيْثُ أَنَّ الْحُكْمَ بِتَحْلِيلِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ وَتَحْرِيمِهَا إِذَا مَا هُوَ بَيِّنٌ أَنَّ خَالِقَهَا وَخَالِقَ الْبَشَرِ وَخَالِقَ الْعَالَمِ كُلِّهِ، مِنْ هُنَا يَتَوَجَّهُ عَلَى كُلِّ مَنْ يَدَّعِي تَحْلِيلَ أَوْ تَحْرِيمَ شَيْءٍ مِنْهَا، إِذَا مَا أَنَّ يَثْبُتَ ذَلِكَ عَنْ طَرِيقِ شَهَادَةِ الْعَقْلِ، وَإِذَا مَا أَنَّ يَكُونُ قَدْ أُوحِيَ لَهُ بِذَلِكَ، أَوْ يَكُونُ حَاضِرًا عِنْدَ الذَّبِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) عِنْدَ صُدُورِ هَذَا الْحُكْمِ مِنْهُ. وَلَقَدْ صَرَّحَ فِي آيَةِ السَّابِقَةِ بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِدَى الْمُشْرِكِينَ أَيُّ دَلِيلٍ عِلْمِيٍّ أَوْ عَقْلِيٍّ عَلَى تَحْرِيمِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ، وَحَيْثُ أَنََّّهُمْ لَوْ يَدَّعَوْا أَيْضًا نَزُولَ الْوَحْيِ عَلَيْهِمْ، أَوْ النَّبُوَّةَ، فَعَلَى هَذَا يَبْقَى الْإِحْتِمَالُ الثَّلَاثُ فَقَطْ، وَهُوَ أَنَّ يَدَّعَوْا أَنََّّهُمْ حَضَرُوا عِنْدَ أَنْبِيَاءٍ اللَّهُ وَرَسُولُهُ يَوْمَ أَصْدَرُوا هَذِهِ الْأَحْكَامَ، وَلِهَذَا يَقُومُ اللَّهُ لَهُمْ فِي مَقَامِ الْإِحْتِجَاجِ عَلَيْهِمْ: هَلْ حَضَرْتُمْ عِنْدَ الْأَنْبِيَاءِ وَشَهِدْتُمْ أَمَّا اللَّهُ لَهُمْ بِتَحْلِيلِ أَوْ تَحْرِيمِ شَيْءٍ مِنْ هَذِهِ الْأَنْعَامِ: (أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ مَضَّكُمْ إِلَيْهَا)؟! وَحَيْثُ إِنََّّ الْجَوَابَ عَلَى هَذَا السُّؤَالِ هُوَ الْآخِرُ بِالْإِنْفِي وَالسَّلْبِ، يَثْبُتُ أَنََّّهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَلِكُونَ فِي هَذَا الْمَجَالِ إِلَّا الْإِفْتِرَاءَ، وَلَا يَسْتَنْدُونَ إِلَّا إِلَى الْكُذْبِ. وَلِهَذَا يُضِيفُ فِي نَهَايَةِ آيَةِ قَائِلًا: (فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا، لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، إِنََّّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (1). فَيُسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ آيَةِ أَنَّ الْإِفْتِرَاءَ عَلَى اللَّهِ مِنْ أَكْبَرِ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ، إِنََّّهُ ظَلَمٌ _____ 1 - ثَمَّةُ إِحْتِمَالَاتٍ عَدِيدَةٍ حَوْلَ مَا هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِالْجَارِ وَالْمَجْرُورِ فِي قَوْلِهِ: "بِغَيْرِ عِلْمٍ"، وَلَكِنْ لَا يَبْعَدُ أَنَّ يَكُونُ هَذَا الظَّرْفُ مُتَعَلِّقًا بِفَعْلٍ: "يُضِلُّ" يَعْنِي أَنََّّهُمْ بِسَبَبِ جَهْلِهِمْ يُضِلُّونَ النَّاسَ.